

المفاجأة هنا ليست فقط في أن الراوى اكتشف أن الشوارع - المدينة - العالم - الحياة - ليست إلا سركاء، ولكن في أن الشوارع كانت شوارعاً بما هي كذلك، لكنها تنقلب سركاء بمجرد أن يضع قدمه فيها.

فالحياة إذن ليست مسرحاً كبيراً، ولا هي سركاء عجائبياً في ذاتها بذاتها، ولكننا نحن الذين نجعل منها ما هو كذلك، ونحن لا ننصب السيرك في الشوارع، ولكننا ننميه بديلاً عنها، عن الشوارع وما بها، عن الواقع، لأن بقية الحلم تقول إن السيرك **يجل محل الأبنية مجرداتها، بل ومحل السيارات والمارة.....**

هي المفاجأة، وهي تظل مفاجأة ماظلت مُدهشة مع أننا نحن الذين نصنعها بمجرد أن نضع أقدامنا فيها، لكن - مثل أي مفاجأة- إذا ما تكررت تتراجع الدهشة، فتفتُر الفرحة، ويظهر الضجر، وهو ما دعا الراوى للرجوع إلى مسكنه، لكنه عند عودته منسحباً لم يجد البيت قد تحول سركاء مثل الشوارع، لكنه وجد في استقباله البلياتشو (مثل السيرك)، الذي بدا وكأنه يعلنه أن ما أدهشه في الخارج هو نابعٌ من ذاته أصلاً، وبالتالي لماذا الدهشة فالضجر؟ بل إن البلياتشو بدا مرحباً بعودة صاحبه: فإذا بالبلياتشو **"يستقبلني مقههاً"** (وإن كنت لا أنفي احتمال مسحة من السخرية أو العتاب)

هل هذا يعنى أننا إذا أردنا أن نلعب **"لعبة الحياة:** بإعادة تخليقها" فعليتنا أن نحرس على التجديد وليس مجرد إعادة الألعاب؟ وأنه لا يكون التجديد أصيلاً إلا بالبدء بأن نقبل هذا البلياتشو داخلنا فهو الأصل، بدلاً من أن ننتظر أو نفتعل التغيير خارجنا؟

إن المُجَدّد في لعبة الحياة هو القادر على المشاركة بما هو - بلياتشو مقهها من الداخل- في السيرك الكبير الجميل في الخارج، شريطة ألا يتكرر حتى نمل؟

ربما.

حين يسير الواحد منا في الحياة يخلُق الألعاب، ويندهش للتحوّلات، ثم تتكرر المسألة حتى تفتُر، فإنه قد يتعب من المشى، ويمل الرؤية، محفوظ هنا في حلمه يقرر ذلك، إنه **"يضيق بالمشى والرؤية"** معاً، فهو لم يتعب ولم يمل، لكنه ضاق بهما:

المشى وصلنى باعتباره مواصلة السعى في الحياة، أما الرؤية فقد وصلتنى في صورة تجدد الكشف،

لكن الحلم هنا يقول إن تكرار النص - كما هو- تكرار ألعاب السيرك، يُفقد المشى صفة السعى، ويفقد الرؤية صفة الكشف، فمن ذا لا يضيق بما يتكرر هكذا؟

الرجوع إلى المسكن يمكن أن يقابل التراجع عن السعى، وهو **نكوص** من حيث المبدأ

لكن النكوص لا يكون سلباً إلا إذا كان نهاية المطاف، أما إن كان **"حركة الذراع الراجعة"**، فهو بداية الدورة

التالية، ولو في دورات النوم واليقظة، شريطة أن نبدأ بالبياتشو داخلنا،

هكذا وصلتني فرحة الراوى وكيف سبقت ظهور البياتشو، وهى فرحة تولد فرحة "فرخت .. وأمنت بمجئ الفرح"، ثم يظهر البياتشو مستقبلا مقهقهة تأكيداً لرسالة أن "وجه الدنيا" يشرق من داخلنا، وهو الذى يخلق الشارع فالشارع سيركا فسركا، شريطة ألا يجل الخارج على الداخل، وألا يتكرر بما هو، دون الرجوع إلى الداخل، لتشرق الدنيا ويقهقه البياتشو من جديد، وهكذا دائما أبداً.

ثانياً: حلم (6)

نص الحلم (6)

رن جرس التليفون وقال المتكلم:

الشيخ حرم استاذك يتكلم

فقلت بأدب وإجلال:

أهلا استاذى وسهلاً...

- إني قادم لزيارتك.

على الرحب والسعة

لم تسمى أية دهشة، على الرغم من أننى شاركت في تشيع جنازته منذ حوالى ستين عاماً، وتتابعت على ذكريات لانسى عن أستاذى القديم في اللغة في معاملة التلاميذ، وجاء الشيخ بحبته وقفطانه الزاهيين وعمته المقلوطة وقال دون مقدمات: هناك عايشت العديد من الرواة والعلماء، وبين حوارى معهم عرفت أن بعض الدروس التى كنت ألقينها عليكم تحتاج إلى تصحيحات فدونت التصحيحات في الورقة وجنتك بها.

قال ذلك ثم وضع لفافة من الورق على الخوان وذهب.

القراءة

... تابعت بحب محفوظ وهو قادر على أن يرفع الحاجز بين الموت والحياة بسهولة ويسر في أكثر من موقف شخصى، وأكثر من موقع إبداعى مثلاً في "ليالى ألف ليلة"، "ورأيت فيما يرى النائم"، وحتى "ملحمة الخرافيش"، وغيرها.

وباعتبار أن الفرض الذى لاح لى مؤخرًا وأعايشه حالياً لإكماله يقول: إن الموت هو نقلة الوعى الشخصى إلى الوعى الكونى ليكمل المسيرة إلى وجه الحق سبحانه وتعالى، فإن هذه النقطة تصبح سلسة بقدر ما يكون الإنسان قد سعى في نفس الاتجاه: من الذات إلى المطلق إلى وجه الله، أثناء حياته، وعباداته، ونسكه، وإبداعه، من هنا يمكن رفع الحاجز بين الموت والحياة بقدر جدية وكده مشوار الإنسان في الاتجاه الصحيح.

لكل ذلك لم أتعجب من قدرة محفوظ على رفع هذا الحاجز والتنقل بين الموت والحياة بسهولة في كل أحواله، فما بالك في إبداعه إلامه؟

من هنا نفهم انعدام الدهشة في هذا الحلم والراوى يرى/ يسمع صوت أستاذه في الهاتف وهو يستأذن للقدوم لزيارته، بعد أن شيع جنازته من حوالى ستين عاما .

الزمن هنا أيضا اُخْتُزِلَ بنعومة حتى يمكن أن نقرأ هذه الستين وحدة بأى تمييز (عاما، شهراً، أسبوعا، أو كما سُنت)، هو أستاذ، وأستاذ في اللغة وليس بالضرورة اللغة العربية، وليس معنى أن يكون الأستاذ "محرم" في الحلم قد جاء بجيبته وقفطانه الزاهين أنه أستاذ العربي والدين، وإن كان هذا هو الأرجح .

أما ما قاله الأستاذ محرم، فلم أجد فيه جديداً: فهو دعوة مباشرة (وساذجة) لمراجعة كل الدروس التي تُلْقَى علينا وبالذات الدروس سابقة التجهيز،

الجديد في الحلم ربما هو في التنبيه على أننا: إذا كنا **أجبن من أن نختبر المعلومات -كل المعلومات- التي تصلنا بالمراجعة ونحن أحياء، فهذا إثم سوف يجاسبنا الله عليه،** وها هو شاهد على نفسه، يأتي إلينا وهو يراجع نفسه بعد أن انتقل وعيه إلى الوعي الكونى إلى وجه الحق سبحانه وتعالى، وهو على نفسه بصيرة، لم تنفعه معاذيره، فاكتفى بنفسه عليه حسياً، فيقرر أن يعترف ويرجع ليصحح ما كان ينبغى أن يكتشفه حياً، فهو -برحمة ربنا- أعطى الفرصة أن يعود، وذلك حين اكتشف أنه من الأمانة أن يصحح دروسه القديمة، وأن يبلغ هذا التصحيح الواجب لمن اتبعوه ثقة فيه، بل إنه ربما فعل ذلك بدلا من أن يتبرأ من الذين اتبعوه دون أن يُعملوا النقد فيما قاله لأنه يعلم أن ليس لهم كزة ليتبرأوا منه لو أنه تبرأ منهم، فعاد يرئ ذمته، وربما استشعر أنه بتراجع هذا سوف ينال غفران ربنا أكثر فأكثر مادام قد صحح غلطته، وعاد بالتعديلات الواجبة، يبلغها للذين اتبعوا

(ملاحظة: لم أتوقف كثيرا عند اسم "محرم" لأربطه بالخلال والحرام، فمحفوظ قد تجاوز مثل ذلك).

بقيت بعد ذلك مسألتان.

أولاً: إننى خشيت أن يتوقف "المتلقى" عند الورقة التي تركها الشيخ على الخوان وفيها ما فيها من التعديلات اللازمة ويتصور أن غاية المراد هو: **مجرد تصحيح القديم عن طريق نفس الأستاذ بعد أن عايش العديد من الرواة، والعلماء وحاورهم،** وأن الأستاذ هو الذى عليه أن يقوم بتصحيح ما وصلنا باستمرار.

ثانياً: خشيت أيضا أن يغفل المتلقى كلمة "بعض" التي حرص محفوظ (برغم صعوباته) ألا ينساها (عرفت أن بعض الدروس ... تحتاج إلى تصحيحات).....

غامرث -شخصيا- أن أكمل الحلم من عندي هكذا، **"...فتمت وفتحت اللفافة، وإذا بها أوراق مرقمة بيضاء من غير سوء".**

وتصورت أن الحلم بهذه النهاية المقترحة يدعونا أن نتحمل مسئوليتنا فنقوم نحن باستمرار بتصحيح ما يصلنا أولاً بأول، ولا ننتظر الشيخ محرم مهما حسنت نيته واعترف بخطئه

هذا ليس مأخذاً على الحلم، إن لم يحفظ أن يقف حيث أراد هذا،

وقد أبلغني شيخى محفوظ أمس هاتفياً أنه بعد أن ناقش الأمر مع الشيخ محرم، وافقاً على السماح لي بما فعلتُ على مسئوليتي.